تزايد قوى الممالك الاسبانية وانحسار النفوذ الإسلامي في الاندلس خلال الحقبة (٤٢٢هـ – ٤٧٨هـ)

أ.د. خالد محمود عبد الله الدليمي

السيد مهند عبد رحيم

جامعة تكريت – كلية التربية للعلوم الصرفة

المبحث الأول

الحرب الأهلية وأثرها في ضعف قوة المسلمين في الأندلس أثناء عصر الطوائف.

تعود جذور الخلافات والنزاعات الداخلية في الأندلس أثناء عصر الطوائف إلى عهد الحاجب عبد الملك بن منصور بن أبي عامر(٣٩٢-٣٩٨هـ/١٠٠١-١٠٠٧م)، الذي توفي مسموماً من قبل أخيه عبد الرحمن شنجول (٣٩٨-٣٩٩هـ/١٠٠٧-١٠٠٨م)، كما توفي الأخير بمؤامرة من قبل (الزلقاء) أم عبد الملك بن المنصور سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[١]، وفي هذه السنة تم خلع الخليفة هشام الثاني (المؤيد بالله ٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٢م) ومبايعة محمد بن هشام بن عبد الرحمن الناصر (المهدي بالله ٣٩٩-٤٠١ هـ/١٠٠٨-١٠١٠م)، إلا أنه لم يطل به المقام في الخلافة، إذ سرعان ما أعلنت الثورة ضده من قبل البربر وذلك بالتعاون مع النصارى الإسبان وتمكنوا من الحاق الهزيمة بالمهدي في معركة فنتيش[*] سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، ودخول قرطبة عاصمة الخلافة[٢].

أظهرت موقعة فنتيش بشكل واضح عن حالة الانقسام بين جند الأندلس الى أطراف متنازعة هي كل من (العرب- البربر)، وبذلك تبددت الآمال الى قيام دولة إسلامية موحدة في الأندلس، مما أفسح المجال أمام حكام المدن والمقاطعات إلى إعلان استقلالهم عن السلطة المركزية، وبذلك عُدت موقعة فنتيش البداية الأولى لظهور عصر ملوك الطوائف[٣].

بدأ عصر ملوك الطوائف بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، وأخذت المدن الأندلسية تستغل على شكل دويلات صغيرة، وأطلق رؤساء هذه الدويلات على أنفسهم لقب ملوك، وأخذ هؤلاء الملوك اتباع سياسة توسعية فيما بينهم، ودخلوا في منازعات وحروب أهلية دامية أدت إلى وقوع خسائر كبيرة في الأرواح والأموال[٤].

كان لطبيعة ملوك الطوائف أثر كبير في إتباع سياسة التوسع على حساب الدويلات الإسلامية الاخرى، وذلك لأنها لم تكن دولاً بالمعنى الحقيقي، بل كانت أقرب الى وحدات الأقطاع، وأُسر ذات زعامات تعمل من أجل مصلحتها الخاصة دون الالتفاق إلى المصلحة العامة للمسلمين، إذ اتصف عصر الطوائف بأنه عصر الأطماع والأنانية والمصالح والمؤامرات(٥).

لم يكن الصراع القائم بين ملوك الطوائف صراعاً حزبياً قائماً على أساس عرقي كالصراع بين العرب والبربر، أو بين المسلمين والإسبان، إذ أن البربر حاربوا مع بعضهم البعض، فضلاً عن قيامهم بالوقوف مع العرب ضد بربر صنهاجة، كما حارب العرب مع بعضهم البعض كما حدث بين بني عباد وبني جهور حكام (أشبيلية وقرطبة)(٦)، إذ كان الأخ يغدر بأخيه المسلم، ويستعين في ذلك بالأمراء المجاورين، أو الاستعانة بالإسبان النصارى، وخير مثال على ذلك ما فعله المعتضد بن عباد، ملك أشبيلية من دعوة جيرانه من أمراء البربر لعقد الصلح فيما بينهم، وعند حضورهم في بلاطه غدر بهم، ووضع رؤوس القتلى على أشجار حديقة قصره، وأطلق عليها أسم حديقة الموت، رمزاً لقوته وبطشه(٧).

نتيجة هذه الاعمال فقد شهدت الأندلس في النصف الأول من القرن الخامس الهجري حالة من الفوضى والتمزق الداخلي، وما آلت اليه البلاد من ضياع وتفكك بعد أن كانت دولة واحدة منظمة ذات قوة وسيادة، تنعم بالأمن والطمأنينة، تحولت الى أشلاء ممزقة ودويلات متناثرة ومتخاصمة فيما بينها، يسيطر على كل منها حاكم سابق أو زعيم أسرة محلي من ذوي الجاه والعصبية القبلية، متخذين ألقاباً تدل على سعة الملك وعظم الشأن على عكس واقعهم الذي يعيشون فيه من الفرقة والاختلاف(٨).

لقيت سياسة بعض ملوك الطوائف معارضة الفقهاء والعلماء المسلمين، إلا أنهم واجهوا رجال الدين بالقوة والتعسف، واضطهدوا كل من يعارض سياستهم، وخير مثال على ذلك ما قام به المعتضد بن عباد عندما قام بقتل الفقيه أبي الحسن الهوزني(*) لقيام الأخير بتنبيه المعتضد بالخطر الذي يتهدد البلاد، كما قام الفتح بن محمد بن عباد بقتل الفقيه عمر بن حيان(*) ،والتمثيل بجثته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، بسبب رفضه لسياسة الفرقة والاختلاف التي اتبعها ملوك الطوائف(٩)،

لم تتوقف حالة الفوضى في عصر الطوائف على الوضع السياسي فحسب، بل وشمل الجانب الأخلاقي، في بعض دويلات الطوائف ويظهر من خلال قول الشاعرة ولادة بنت المستكفي بالله التي كتبت على عاتقي ثوبها إذ تقول:

أنـا والله أصلح للمـعالـي ... وأمشـي مشيتي وأتـيه فيهـا
وأمكن عاشقي من صحن خـدي ... وأعـطي قـبلتي من يشـتهيها[١٠].

مرت الأندلس خلال عصر الطوائف بتفكك سياسيي واجتماعي وديني واضطراب داخلي، إذ عمل ملوك الطوائف على التوسع على حساب الدويلات الإسلامية المجاورة لهم، ويتضح ذلك جلياً عندما قام بنو عباد بتوسيع مملكة أشبيلية على حساب الدويلات الإسلامية في جنوب وغرب الأندلس، فضلاً عن قيام بنو هود بضم مملكة دانية إلى سرقسطة[١١]، وكان لهذه الأحداث نتائج سيئة على الوضع العام في الأندلس أدت إلى ضياع وحدة الأندلس سياسياً واجتماعياً، وتعاظم دور الأمراء والحكام واستغلالهم في المدن والأقاليم والكور الخاصة بهم، واتخذ هؤلاء الحكام ألقاب الخلفاء استكمالاً لمظاهر السلطان والعظمة، وأفضل من يصور هذه الحالة المأساوية في الأندلس الشاعر الحسن بن رشيق بقوله:

مما يزهدني في أرض أندلـس ... أسماء معتمد فيها ومعتضـــــدِ
ألقاب مملكة في غير موضعـها ... كالهر يحكي انتفاخاً صورة الاسدِ[١٢].

كما اشار المقري ذاماً ملوك الطوائف ((**وانهم يعللون أنفسهم بالباطل...وبعدهم عن وصية نبيهم، وغفلتهم عن سد ثغورهم، حتى ظل عدوهم الساعي لإطفاء نورهم، يجوس خلال ديارهم، يستقرئ بسائط بقاعهم، ويقطع كل يوم طرفاً، ويبيد أمة، ومن حوالينا من أهل كلمتنا صموت عن ذكرهم، لهاة عن بثهم فأن البثق سرى اليهم جميعاً كما سنراه ولا حول ولا قوة إلا بالله**))[١٣]، إذ وصلت الحالة بالأندلس إلى أستحال العودة والرجوع بها إلى دولة موحدة كما كانت على عهد الخلافة، لتشتت أوصالها وانقسامها إلى أكثر من عشرين مملكة، وكانت الأطماع السياسية والشخصية هي التي تسيطر على حكام هذه الدويلات الصغيرة، كما قام حكام هذه الدويلات بالتوسع كلاً على حساب الأخر، وبعد صدامات وصراعات دامية بين ملوك وأمراء

الطوائف، تقلصت دويلات الطوائف إلى اربع دول رئيسة، سيطرت على جميع الدويلات الأخرى في الأندلس، وهذه الدول هي دولة بني هود في سرقسطة، ودولة بني جهور في قرطبة، ودولة بني عباد في أشبيلية، ودولة بني ذي النون في طليطلة، وقد جرت بين هذه الدويلات صراعات داخلية، لجأة حكام هذه الدويلات الى الاستعانة بالممالك الإسبانية(١٤).

إلى جانب الفوضى والتمزق والضياع الذي شهدته الأندلس أثناء عصر الطوائف، نجد أن ملوك الطوائف بدأوا يستعينون بالنصارى الإسبان، مقابل تقديم بعض الامتيازات والتنازلات، فضلاً عن دفع الجزية للنصارى الإسبان، بعد أن كانوا يأخذونها منهم في عهد الخلافة وما قبلها والذي يُعد نقطة تحول في موازين القوى لصالح النصارى الاسبان، كما أنها تدل دلالة واضحة على ضعف قوة المسلمين في الأندلس(١٥)، وما أصدق قول الشاعر فيهم:

بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدانُ(١٦).

كما أشار ابن الكردبوس الى حال المسلمين في الاندلس أثناء عصر الطوائف بشكل موجز قائلاً: **((فلما اتصل الخبر بأمراء البلاد، ثار كل واحد منهم في بلده بمن عنده من الاجناد، فثار أبن زيري بن مناد في غرناطة، وثار أبن عباد في ناحية أشبيلية، وثار إسماعيل بن ذي النون في طليطلة، وابن صمادح في المرية، وابن مجاهد في دانية وغيرهم، الا ان هؤلاء من المشاهير))**(١٧)، كما وصف المراكشي حال المسلمين خلال عصر الطوائف قائلاً **((وبعد إختلال دعوة بني أمية ،تفرق أهلها فرقاً، وتغلب على كل جهة منها متغلب، وضبط كل متغلب منهم ما تغلب عليه...))**(١٨).وقد قام الشعراء بتصوير حالة الأندلس ،أثناء عصر ملوك الطوائف ،ومدى الفرقة والتشتت التي آلت إليه الأندلس أثناء ذلك العصر ،وفي ذلك يقول الشاعر:

حتى إذا سلك الخلافة إنتثر وذهب العين جميعاً والأثر

وقام بكل بقعة مليك وصاح فوق كل غصن ديك(١٩).

أثرت النزعة القبلية تأثيراً كبيراً في علاقات ملوك الطوائف، كما كان لها ظهور في واقع المسلمين السياسي والعسكري، فضلاً عن المنازعات والخلافات التي وقعت بسبب المصالح المادية والسياسية، كانت هناك خلافات أوجدتها النزعة القبلية والعرقية التي كان لها أثر كبير في الحروب والمنازعات التي وقعت بين ملوك الطوائف(٢٠).

أما عن الصراعات والحروب التي وقعت بين ملوك الطوائف، ما وقع بين بني زيري ملوك غرناطة وملوك المرية، وكذلك الحروب بين بني زيري وبني عباد ملوك أشبيلية، فضلاً عن الحروب بين بني عباد وبني حمود البربر وانتهى هذا الصراع بعد استيلاء بني زيري على مالقة سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، كما استولى بنو عباد على مدينة جيان سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤م[٢١]، كما قام بنو عباد بالسيطرة على قرطبة، وانهاء حكم بني جهور سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م، فدخلوا في صراع مع بنو الأفطس ملوك بطليوس، حول مدينة لبلة[*]، وجرت حروب عديدة فيما بينهم، انتهت بانتصار بنو عباد، هذا فضلاً عن الصراع بين بني ذي النون ملوك طليطلة، وبني هود ملوك سرقسطة، إذ قام الطرفان بالاستعانة بالنصارى الإسبان في صراعهما، وكان لهذه الحروب أثر كبير في استنزاف القوة المادية والعسكرية لملوك الطوائف، مما أضعفت قوتهم، وجعلتهم لقمة سائغة بيد النصارى الإسبان[٢٢].

استمر الصراع بين ملوك الطوائف حتى بعد سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م إذ أن الكثير منهم لم يُدرك خطورة الموقف، غارقين في صراعاتهم الداخلية، ليس هذا فحسب بل قام عدد بتهنئة الفونسو السادس على احتلاله طليطلة، وتقديم الهدايا له دليلاً على خضوعهم وطاعتهم له[٢٣]، وبهذا انقلبت المفاهيم، وتحول المسلمون من القوة الى الضعف، ومن الوحدة إلى الفرقة والإنحلال.

ساد التفكك والفوضى في الأندلس أثناء عصر الطوائف، إذ عُد هذا العصر من ((**أكثر العصور التي مرت بالأندلس تشعباً، وأوفرها تبايناً واضطراباً، وأكثرها تفرقاً وتنافراً**))[٢٤]، إذ عانى المسلمون في عصر الطوائف الأمرين جراء الفتن وتوالي المحن والحروب الداخلية بين ملوك الطوائف، وبذلك تلاشت الوحدة السياسية في الأندلس، وتفككت وحدتها وأضحت دويلات صغيرة متناثرة غير قادرة على الدفاع عن نفسها، وأصبحت تدار شؤونها الداخلية والخارجية بشكل مستقل، كإعلان الحرب وإبرام المعاهدات وغيرها[٢٥]، كما سادت الأندلس أثناء عصر الطوائف كما سبق، حالة من التفكك السياسي والاجتماعي، وانقسام الدولة الإسلامية إلى ممالك ودويلات صغيرة متنافرة متحاربة فيما بينها، ظهرت بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، ويرجع سبب ذلك بالدرجة الأولى إلى أبن جهور الذي يعد المسؤول عن بداية عصر ملوك الطوائف في الأندلس، لقيامه بإلغاء الخلافة الأموية في قرطبة، وبذلك تفسخت

أجزاء الأندلس، وبدأت بالانفصال عن عاصمة الخلافة، وانتهت بذلك مركزية الحكم، وأعلنت المدن والأقاليم الإسلامية استقلالها، معلنةً بذلك ظهور عصر ملوك الطوائف، أدت النزاعات الداخلية بين بعض ملوك الطوائف إلى صرف نظر هؤلاء الملوك عن مقاومة التجاوزات النصرانية على الحدود الإسلامية، ليس هذا فحسب وإنما قاموا بإنفاق أموال هائلة في بناء الحصون والقلاع، والإكثار من المرتزقة الإسبان والاستعانة بهم على محاربة إخوانهم في الدين، من أجل تحقيق مآربهم الشخصية، غير مدركين عواقب تلك الأعمال وما يترتب عليها من نتائج وخيمة على مستقبل المسلمين في الأندلس، وخير مثال على ذلك ما فعله المعتمد بن عباد عندما قام بالتحالف مع ملك قشتالة الفونسو السادس للسيطرة على مملكة غرناطة، فضلاً عن تواطئه مع الفونسو واطلق يده في السيطرة على طليطلة[٢٦].

في ضوء ما سبق يتضح لنا مدى الوضع المتردي، والانحلال الداخلي الذي كانت تعانيه الأندلس أثناء عصر ملوك الطوائف، وما اتصف به هؤلاء من التباغض والتحاسد والأنانية، وتقديم مصالحهم الشخصية على المصلحة العامة للمسلمين، ويرجع سبب ذلك كله إلى ابتعادهم عن منهج الله تعالى ،وسنة رسوله الكريم (ص)، فكانت النتيجة ما هو معلوم ،وهو الذلة والهوان والصَغار، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) فاروق هذه الأمة إذ يقول **((نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ،فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله))**.

المبحث الثاني

استغلال النصارى الإسبان للحروب الأهلية بين ملوك الطوائف لتوسع نفوذهم في الأندلس .

بدأت حدود المسلمين في الأندلس أثناء عصر الطوائف بالانحسار أمام حركة التوسع التي تبنتها الممالك الإسبانية، مستغلةً حالة الضعف التي كان عليها ملوك الطوائف، في مد حدودها وتوسعها على حساب المسلمين ولاسيما في الجهة الشمالية الغربية[٢٧]، وقد نتج عن الصراعات والنزاعات الداخلية بين ملوك الطوائف خروج مساحات واسعة من الأراضي الأندلسية عن السيطرة الإسلامية دون حروب تذكر، عن طريق تنازل بعض ملوك الطوائف ثمناً لدعم الممالك الإسبانية لهم في حروبهم مع إخوانهم المسلمين في الدويلات الأخرى، ولم يكن هذا الدعم ليخدم المسلمين، بل كان يصب في خدمة النصارى الإسبان، ومن هذه الحروب ما وقع بين مملكة أشبيلية ومملكة بطليوس سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، فضلاً عن الحروب التي جرت بين بني حمود وبني حبوس وبني يقرن من جهة وبني عباد من جهة أخرى[٢٨].

لم يتوقف النزاع الداخلي في الأندلس أثناء عصر الطوائف بين ملوك الطوائف فحسب، وانما تجاوز الأمر إلى حدوث نزاعات داخلية في المملكة الواحدة، ففي سنة ٤٤١هـ/١٠٤٩م جرى نزاع في مملكة سرقسطة بين أحمد بن سليمان بن هود واخيه يوسف بن سليمان، إذ عمل هذا النزاع على إضعاف الجبهة الإسلامية في منطقة الثغر الأعلى، الذي كان بمثابة الحاجز المنيع بين المسلمين، والممالك الإسبانية، كما أدى الى تجرؤ النصارى الإسبان على مهاجمة الحاميات الإسلامية، والتوسع على حساب المسلمين[٢٩]، وفي أثناء الصراع الداخلي بين بني ذي النون عندما تولى الحكم في طليطلة المأمون بن ذي النون (٤٣٥-٤٦٧هـ/١٠٤٣-١٠٧٤م)، خرج عليه أخوه عبد الرحمن بن ذي النون، فتحالف المأمون مع ملك قشتالة ضد أخيه عبد الرحمن الذي تحالف مع بني هود حكام سرقسطة، ونتيجة هذا الصراع بين الأخوين استغل النصارى القشتاليين هذا الصراع وقاموا بمهاجمة سرقسطة، وتمكنوا من الاستيلاء على عدد من الحصون التابعة لبني هود[٣٠]، كما دخل بني ذي النون في صراعات ومنازعات مع بني الأفطس ملوك بطليوس، وبني جهور ملوك قرطبة، مما دفع بني جهور إلى التحالف مع النصارى القشتاليين ضد بني ذي النون، الذين هزموا أمام القوات المتحالفة سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م، ومع وفاة المعتضد وتولي المعتمد بن عباد حكم اشبيلية سنة ٤٦٢هـ/١٠٦٩م

قامت صراعات وحروب بين بني عباد وبني ذي النون، وعلى أثر ذلك قام المعتمد بالتحالف مع حاكم قطلونية ريموند برنجار ضد بني ذي النون، الذين بدورهم قاموا بالتحالف مع النصارى القشتاليين، وتمكنوا من هزيمة بني عباد، ولم تكن مساعدة النصارى لتأتي من فراغ، وإنما جاءت مقابل حصولهم على عدد من الحصون والقلاع التي تم التنازل عنها مقابل ملوك الطوائف للملوك النصارى، لقاء دعم بسيط يقدمه النصارى لهم(٣١).

ومن صور استغلال النصارى للحروب الأهلية بين ملوك الطوائف، وتوسيع نفوذهم على حساب الأراضي الإسلامية، فبعد وفاة المأمون وتولي حفيده يحيى بذي النون الملقب بالقادر (٤٦٧-٤٧٨هـ/١٠٧٤-١٠٨٥م)،الذي اتصف بالضعف، وانشغاله باللهو والمجون، ونتيجة تصرفاته السيئة وقع تمرد ضده نادت بخلعه، إلا أنه استعان بألفونسو السادس لمساعدته في السيطرة على الوضع داخل طليطلة(٣٢).

مقابل ذلك تعهد القادر بتقديم أموال كبيرة لألفونسو، فضلاً عن إعطاء القادر جميع أموال المدينة بعد استعادتها، وتسليمه حصن سرية وقورية(*)، وحصن قتالش(*)، مما مكن الفونسو السادس بشحن هذه الحصون بالمقاتلة وجعلها منطلقاً لعملياته العسكرية على الأراضي الإسلامية في منطقة الثغر الأوسط وقاعدته طليطلة(٣٣).

عمل النصارى الإسبان على استغلال حالة الضعف والفوضى السياسية التي عصفت بالأندلس خلال عصر الطوائف، وقاموا بإشعال فتيل الحروب الأهلية بين ملوك الطوائف، وإشغالهم فيما بينهم وتحويل سهامهم وحرابهم نحو رقاب إخوانهم المسلمين بدل أعدائهم النصارى الإسبان، وبذلك أتيح للنصارى الإسبان استثمار حالة التشتت والفرقة السياسية التي يعيشها المسلمون، وأخذوا يتدخلون في الشؤون الداخلية لملوك الطوائف وإذكاء روح التفرقة، وإثارة الفتن فيما بينهم، وقيامهم بدعم أطراف النزاع ووقوفهم إلى جانب الضعيف ضد القوي، حتى يضعف الجميع، وبذلك يسهل السيطرة عليهم وانتزاع اراضيهم تدريجياً(٣٤)، وهكذا زالت هيبة المسلمين من نفوس أعدائهم أثناء عصر الطوائف، وكُسر حاجز القوة التي تميزوا بها لأكثر من ثلاثة قرون، وذلك بسبب ضعف ملوك الطوائف، وانغماسهم في اللهو والرذائل.

تغافل معظم ملوك الطوائف عن الخطر النصراني شمال الأندلس، وانشغلوا في الحروب والمنازعات الداخلية، وفسحوا المجال أمام النصارى الإسبان للتوسع على حساب المسلمين(٣٥)،

إذ أدت الحروب الأهلية بين بني الأفطس، وبني عباد وبني ذي النون في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إلى قيام النصارى الإسبان المتربصين بالمسلمين، إلى الإغارة على الأطراف الشمالية لمملكة بطليوس، في المنطقة الواقعة بين نهري تاجة(*) ودويرة، فقد قام ملك قشتالة فرناندو الاول سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م بمهاجمة هذه المنطقة، منتهزاً انشغال بني الافطس بحروبهم الأهلية من ملوك أشبيلية وطليطلة وتمكن من الاستيلاء على مدينتي لاميجو وبازو، الواقعتين شمال البرتغال، دون ملاقاة أية مقاومة، ولم يقدم ابن الأفطس أية مساعدة لهذه المدن منشغلاً في أمور تافهة لا قيمة لها تاركاً المسلمين يواجهون مصيرهم المظلم على يد النصارى الإسبان، الذين عملوا على استرقاق المسلمين واستعبادهم واسكان النصارى في هاتين المدينتين(لاميجو ، بازو)(٣٦).

يتضح لنا مما سبق حجم الخطر الذي أخذ يشكله النصارى الإسبان على المسلمين، ومدى الضعف والهوان الذي وصل إليه ملوك الطوائف، حتى أصبحوا لا يقوون على مواجهة النصارى أو حتى الدفاع عن انفسهم، مما أدى إلى تجرؤ النصارى الإسبان على غزو المسلمين في الأندلس أثناء عصر الطوائف في عقر دارهم، وفرض الجزية عليهم بعد ان كانوا يؤدونها لهم، مما أدى إلى استنزاف قواهم الاقتصادية، التي تؤدي بالتالي إلى ضعف المسلمين وانهيار المدن الإسلامية وسقوطها بيد النصارى.

وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م قام فرناندو الأول بمهاجمة مدينة شنترين الواقعة على نهر تاجة، وتخريب نواحيها، كما قام فرناندو سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م بمهاجمة أراضي مملكة سرقسطة من الناحية الجنوبية الغربية، وتمكن من الاستيلاء على حصن غرماج(*) وعدد من الحصون الأخرى(٣٧).

واصل ملك قشتالة فرناندو الأول هجماته على دويلات الطوائف، منتهزاً حالة الضعف التي يمر بها ملوك الطوائف، ففي سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢ قام فرناندو الأول بمهاجمة الأجزاء الشمالية الشرقية لمملكة طليطلة المتمثلة بمدينة سالم(*)، وطلمنكة(*)، ووادي الحجارة(*)، وقلعة النهر(*)، وعاث فيها نهباً وسلباً وتخريباً، وأرغم المأمون بن ذي النون إلى دفع الجزية وإعلان طاعته لملك قشتالة(٣٨).

أنهكت الحروب الأهلية بين ملوك الطوائف قواهم وأصبحوا لا يقوون على مواجهة الممالك الإسبانية، وأجبروا على دفع الجزية لملك قشتالة، وعندما رفض ملك بطليوس محمد بن مسلمة بن الأفطس (٤٣٧-٤٦١هـ/١٠٤٥-١٠٦٨م) دفع الجزية لملك قشتالة، أرسل الأخير حملة عسكرية كبيرة أجبرت ابن الأفطس على عقد صلح مع فرديناند ودفع جزية مقدارها خمسة الآف دينار سنوياً[٣٩].

لم يقم ملوك الطوائف بإعلان الجهاد ضد النصارى الإسبان، لأن جهادهم تحول ضد إخوانهم المسلمين في الإمارات والدويلات الإسلامية المجاورة، كما أن حكمهم لم يكن بصورة شرعية لإعلان تلك الدعوة، وعلى العكس من ذلك قاموا بالتحالف مع النصارى الإسبان مقابل أجور معينة، أو تنازلات عن عدد من الحصون والمعاقل، وذلك من أجل الوقوف الى جانب ملك من ملوك الطوائف ضد آخر، اي قاموا بالاستعانة بالكفار ضد إخوانهم المسلمين[٤٠]، على الرغم من تحريم الاستعانة بالنصارى الإسبان لما لهذا العمل من نتائج وخيمة على المسلمين، كونه يعمل على كشف مواطن الضعف عند المسلمين للنصارى، وبالتالي يجعل الجبهة الاسلامية ساحة مكشوفة أمامهم، يسهل اختراقها والسيطرة عليها[٤١].

بعد وفاة فرناندو الأول سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥م خلفه في الحكم ابنه الفونسو السادس (٤٥٨-٤٧٩هـ/١٠٦٥-١٠٨٦م) فقام الفونسو بتصعيد حدة الخلاف بين ملوك الطوائف، وتكريس الفرقة والعداوة بينهم، فتارة يتحالف مع بني عباد ضد بني زيري، وتارة يتحالف مع بني ذي النون ضد بني عباد، وتارة يتحالف مع بني زيري ضد بني عباد وهكذا استطاع الفونسو ضرب ملوك الطوائف بعضهم ببعض، وقام باستغلال هذه الأوضاع في توسيع مملكته على حساب المسلمين[٤٢]، وبهذه الطريقة تمكن النصارى الإسبان أثناء الحروب الأهلية القائمة بين العرب والبربر من الاستيلاء على العديد من الحصون والمعاقل الإسلامية، دون تقديم خسائر تذكر.

مرت الممالك الإسبانية في النصف الأول من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بمرحلتين متداخلتين كان لهما أثر كبير على أوضاعها الداخلية من جهة، وعلى علاقاتها بدول الطوائف من جهة أخرى، إذ تميزت المرحلة الأولى بالصراع الداخلي بين الممالك الإسبانية أو الصراع الأسري بين كل مملكة، أما المرحلة الثانية فقد تميزت بتوحيد الممالك الإسبانية، التي تهيأت لها الفرصة في فرض سيطرتها السياسية على الأندلس، في ظل تفكك

وحدة المسلمين نتيجة الحروب الأهلية[٤٣]، تطلع الفونسو السادس بعد وقوفه على حقيقة الضعف الذي آل إليه ملوك الطوائف، إلى تجريد طليطلة من الحصون والقلاع الحدودية وعزلها عن باقي دويلات الطوائف تمهيداً للاستيلاء عليها، ولم يكتفِ بالجزية التي كان يقدمها له ملوك الطوائف، وقد تمكن الفونسو من الاستيلاء على كل من صورية والناعورة واتخاذها قاعدة لعملياته العسكرية، ومنطلقاً إلى باقي مناطق الثغر الأوسط[٤٤].

انتهز الفونسو السادس وفاة المأمون بن ذي النون، وتولي القادر الذي أعلن خضوعه للفونسو فقام الأخير بمهاجمة أطراف مملكة طليطلة، وتمكن من خلالها السيطرة على مدينة طلبيرة، والحصون الواقعة بينها وبين مدينة مجريط[*]، وقد عملت هذه العمليات العسكرية التي شنها الفونسو إلى إضعاف مدينة طليطلة وتجريدها من وسائل الدفاع، تمهيداً لاحتلالها وإنهاء الحكم الإسلامي فيها بصورة نهائية[٤٥].

في الوقت الذي كانت فيه الممالك الإسبانية تحيك الدسائس والمكر ضد ملوك الطوائف، الذين كانوا غارقين في اللهو والترف، والحروب الأهلية، غافلين عن الخطر المحيط بهم والذي يتهددهم من قبل النصارى الإسبان، بل أن كل ما يستطيعون فعله هو دفع الجزية للنصارى لدرء خطرهم ، وتقديم الأتاوى لهم لموادعتهم، إلا أن هذه الوسيلة لم تجدي نفعاً، لأن النصارى الإسبان كانوا يهدفون من وراء الجزية إضعاف المسلمين وإنهاك قوتهم والسيطرة على المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى[٤٦].

يتضح مما سبق مدى الذل والهوان الذي وصل اليه ملوك الطوائف، فبعد أن كانوا أسياداً متبوعين، أصبحوا أتباعاً أذلاء صاغرين، يدفعون الجزية حفاظاً على وجودهم واستمرارهم في الحكم.

أثرت الحروب الأهلية بين المسلمين (العرب والبربر) أثناء عصر الطوائف في واقع المسلمين، وأفسدت القلوب بين فئات المجتمع الإسلامي، فسفكت الدماء، وانتشرت الثارات بين المسلمين، إذ كان أهل قرطبة العرب ينبُذون البربر، ويتقربون من النصارى الإسبان، بل وعدوهم منقذين لهم من هجمات البربر، ويظهر ذلك بوضوح أثناء رحيل النصارى الإسبان من قرطبة، إذ ظهرت علامات الحزن على أهل قرطبة لرحيل النصارى عنهم ، حتى كان بعضهم يعزي الأخر، كما أنه لو فقد أهله وماله أسفاً على رحيلهم، وجزعاً من وصول البربر إليهم[٤٧]، لماذا كل هذا

الاختلاف ألم يكن البربر مسلمون ،ألم يكونوا مع العرب في جبهة واحدة عند فتح الأندلس، فأنظر أخي الكريم الى حجم التباغض والحقد الذي انتشر بين المسلمين، لبعدهم عن منهج الله عز وجل وسيرهم وراء شهواتهم واشباع غرائزهم وتقاتلهم مع بعضهم لتحقيق مصالحهم الذاتية الدنيئة للحصول على الأموال أو الوصول إلى المنصب، والتغافل عن مصالح المسلمين العامة، فقاموا يفضلون الكافر على المسلم، ضيعوا الدين فضيعهم الله وشتت ممالكهم، وأبدلهم بدل حياة النعيم والرفاه إلى عيش الذل والهوان، والجزاء من جنس العمل.

قام الفونسو السادس باستغلال نفوذه الكبير وقوته السياسية والعسكرية وتسخيرها في تقويض النفوذ الإسلامي، عن طريق دعم أطراف النزاع بين ملوك الطوائف، لغرض إضعافهم وانهاك قوتهم وبالتالي عجزهم من الوقوف أمامه(٤٨)، وعلى الرغم من الانشقاقات التي مرت بها الممالك الإسبانية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، إلا أن قوة النصارى الاسبان رجحت على الساحة الأندلسية، وقد ظهر هذا التفوق نتيجة تبلور حركة الاسترداد الإسبانية، والتي أصبحت ظاهرة قوية لدى النصارى الإسبان، وعاملاً حاسماً في ميدان الصراع بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية (٤٩).

كان النصارى الإسبان يتربصون حالة الضعف والفوضى السياسية التي عصفت بالأندلس أثناء عصر الطوائف، ويتضح ذلك جلياً من خلال مقولة ملك قشتالة الفونسو السادس لرسل المعتمد بن عباد عندما قدموا إليه طلباً للصلح والموادعة، رد عليهم قائلاً ((**كيف أترك قوماً مجانين تسمى كل واحد منهم بأسماء خلفائهم وملوكهم، دون أن يستطيع أحدهم أن يسل سيفاً في الذب عن نفسه، ولا يرفع رعيته ضيماً ولا حيفاً، وقد أضمروا الفسوق والعصيان واعتكفوا على المغاني والعيدان، وكي يحل لبشر أن يقر منهم على رعيته أحداً، وأن يدعها بين أيديهم سدى**))(٥٠).

ومن خلال هذه المقولة يتضح لنا مدى التشتت والضعف الذي وصل إليه ملوك الطوائف ، وانغماس الكثير منهم بحياة اللهو والترف، والخلافات الداخلية، متغافلين عن الأخطار المحيطة بهم فاستُصغروا في عيون أعدائهم، وقد أشار أبن عبد البر إلى ملوك الطوائف قائلاً ((...**فضعفوا وصاروا خولاً للإسبان يؤدون الجزية اليهم أضعاف ما كان المسلمون يأخذون منهم**))(٥١).

ومن صور موالاة ملوك الطوائف للنصارى الإسبان، ما قام به ملك غرناطة عبدالله بن بلقين (٤٦٥-٤٨٣هـ/١٠٧٢-١٠٩٠م)، عندما تعرضت مملكته لهجوم الفونسو بالأموال، مقابل الكف عن مهاجمته، إذ تعهد بتقديم عشرة آلاف مثقال من الذهب للنصارى القشتاليين سنوياً، فضلاً عن تسليم عدد من الحصون الواقعة جنوب غربي جيان، ولم يقف تخاذل ملك غرناطة عند هذا الحد، بل قام بتحريض النصارى الإسبان ضد المرابطين (إخوانه في الدين)، وبذلك يعد أول من رفع راية العصيان ضد المرابطين، وقد أشار الشاعر السمساري اليه قائلاً:

صاحب غرناطة سفيه ... وأعلم الناس بالأمور
صالح الفونسو والنصارى ... فأنظر الى رأيه الدبير
وشا بنيانه خلافاً ... لطاعة الله والامير
يبني على نفسه سفاهاً ... كأنه دودة حرير
دعوهُ يبني فسوف يدري ... إذا أتت قدرة القدير[٥٢].

ومما قيل عن وصف حالة الذل والتبعية التي وصل اليها بعض ملوك الطوائف في موالاة النصارى الاسبان، فقد صور الشاعر أحد شعراء وأدباء عصر الطوائف تلك الأوضاع في قصيدة طويلة يقول فيها:

رضوا بالرق ياالله! ماذا ... رآهُ وما أشار به مشيرُ
مضى الإسلام فأبكِ دماً عليهِ ... فما ينفي الجوى الدمع الغزيرُ
ولا تَجنَح إلى سلمً وحارب ... عسى ان يُجبَر العظمُ الكسيُر[٥٣].

الخاتمة

يتضح في ضوء ما سبق مدى التشتت والانحلال الاجتماعي، والفرقة السياسية والحروب الدامية بين بعض ملوك الطوائف، كما جرى بين ذي النون وبني عباد ملوك طليطلة وأشبيلية، ولم يكتفِ ملوك الطوائف بذلك فحسب، وانما قاموا بالاستعانة بالنصارى الاسبان في نزاعاتهم الداخلية، والتي تُعد سابقة خطيرة، ونقطة تحول سلبية في تاريخ المسلمين في الأندلس، ويظهر بشكل واضح اثناء الصراع الداخلي بين بني عباد وبني زيري، عندما قام المعتمد بن عباد بالتحالف مع ملك قشتالة الفونسو السادس ضد مسلمي غرناطة، مما أضعف الطرفان وبالتالي إذعاناً لألفونسو وتعهدا بدفع الجزية عن ذلة وصغار.

استغل النصارى حالة الفوضى والاضطراب الذي شهدته الاندلس خلال عصر ملوك الطوائف وقاموا بتوسيع نفوذهم وبسط سيطرتهم على أجزاء واسعة من الأراضي الإسلامية لاسيما مملكة طليطلة، منتهزين بذلك حالة العداء بين بني ذي النون وبني عباد.

تطور الصراع الاسلامي–النصراني في الأندلس، خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ودخل في طور جديد اذ تم اسباغ صفة دينية ذات طابع صليبي على تلك الحروب من قبل النصارى، تحت إسم حروب الاسترداد (كونكويست)، مما أحدث تحولاً واضحاً في موازين القوى السياسية والعسكرية في الأندلس لصالح الممالك النصرانية بزعامة ملك قشتالة.

ظهر الدور الكنسي والبابوي بصورة واضحة في الصراع الدائر بين المسلمين والنصارى في الاندلس، اذ قامت البابوية بدعم واسناد الممالك النصرانية في حروبها مع المسلمين، من خلال قيامها بإصدار الفتاوى والمراسيم الدينية التي تدعو النصارى الاوروبيين إلى دعم النصارى الإسبان، ومعاضدتهم في حروبهم مع المسلمين، ولم يقتصر الدعم على الجانب الديني فحسب، بل تجاوز ذلك، فعلى الصعيد السياسي قامت البابوية بإستغلال مكانتها الدينية لدى النصارى بحث الاباطرة والملوك والامراء الاوروبيين على الاشتراك الى جانب النصارى الإسبان في محاربة المسلمين بالأندلس، اما على الصعيد الاقتصادي فقد قامت البابوية والكنيسة بتمويل العمليات العسكرية النصرانية من خلال قيامها بتسخير أموال الكنائس والكاتدرائيات في خدمة المجهود الحربي النصراني، مما أدى إلى تقوية العامل الروحي لدى النصارى الإسبان، والهاب

مشاعرهم الدينية ورفع الروح المعنوية في محاربة المسلمين، على اعتبار الحرب مع المسلمين حرباً صليبية لا تقل أهمية عن الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي.

الهوامش

(١) أبن عذاري، ابو العباس أحمد بن محمد المراكشي (بعد ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان وليفي بروفنسال، ط٢، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م). ، ٣٧/٣؛ لسان الدين بن الخطيب، ابو عبدالله التلمساني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف (بيروت، ١٩٥٦م) ، ٨٩-١٢٩.

(*) فنتيش: وهي موضع شمال شرقي القليعة بالقرب من ملتقى وادي أرملاط بالوادي الكبير. ينظر: أبن الآبار، ابي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر البلنسي (ت٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر (القاهرة،،١٩٦٣م). ، ٦/٢٠.

(٢) ابن عذاري ،البيان المغرب ،٧٨/٣ ؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ١٢٧؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٧١م)، ص٣٨-٣٩ .

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء، ٦/٢-٧؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٩٨م)،ص١٧.

(٤)الحميدي، أبي محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي (ت٤٨٨هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٧م)، ص٢٩-٣٢؛ آل زيد، خالد بن عبد الله بن حسن، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (٤٢٢-٨٩٢هـ) دراسة سياسية اقتصادية، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (جامعة ام القرى، ٢٠٠٥م)، ص٣٨؛قطب، محمد علي، مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس، (القاهرة، ١٩٨٥م)، ص٢٢؛ عنان، محمد عبدالله، دولة الاسلام في الأندلس، مؤسسة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٠م)، ٢٠/٢-٣؛عبيدان،

داود عمر، بوادر ضعف العرب في الأندلس وسقوط الثغر الأوسط وطليطلة ،مجلة المؤرخ العربي، العدد٣٤، (بغداد ،١٩٨٧م)ص١٥٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ٣/١٦٠-١٧١؛ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٢-١٤٤.

(٦)ابن عذاري ،البيان المغرب ،٣/٢١١-٢٢٥لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ١٤٥-١٥٥.

(٧)ابن الآبار، الحلة السيراء، ٢/٥٠-٥١.

(٨)لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٤؛ الحساني، فايزة عبدالله، تاريخ مدينة سرقسطة منذ الخلافة الأموية حتى سقوطها، (٣١٦-٥١٢هـ) دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، (جامعة أم القرى، ٢٠٠٩م)، ص٧٨.

(*)أبي الحسن الهوزني:هو العالم والفقيه والمحدث، حج سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م،وسمع في طريقه كتاب صحيح البخاري ،وعنه أخذه أهل الاندلس ،سكن أشبيلية ،ثم أنتقل إلى مرسية ، كان في خدمة المعتضد ،ويرجع سبب قتله كونه خاطب المعتضد بن عباد يحثه على الجهاد بعد سقوط بربشتر بيد النصارى الاسبان ،فاستدرجه المعتضد وقتله بيده سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م للتفاصيل ينظر: ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق :شوقي ضيف ،دار المعارف ،ط٤،(القاهرة،١٩٦٤م)،١/٢٩٣-٢٤٢؛ المقري ،أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت، ١٩٨٨م)،٢/٩٣.

(*)عمر بن حيان: ويكنى أبا القاسم فقيه ومحدث ،من أهل النبل والذكاء، والحفظ واليقظة، والفصاحة ،قتله المأمون الفتح بن محمد بن عباد بالمَدور سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، ومثل بجثته. ينظر: ابن بشكوال ،أبي القاسم خلف بن عبدالملك (ت٥٧٨هـ)، كتاب الصلة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة،٢٠٠٨م)٦/٤٠٣؛ الظبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت٥٩٩هـ)،بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ،تحقيق : روحية عبد الرحمن السويفي ، دار الكتب العلمية ،(بيروت ،١٩٩٧م) ص٣٥٦.

(٩) مجهول، تاريخ الأندلس، ص٢٦١؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٥٥-١٥٦؛ عبد الحليم، العلاقات، ص ٢٨٠.

(١٠) ابن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن (ت٦٣٣هـ)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الإيباري وأخرون، دار العلم، (دمشق، ١٩٥٥م)، ص٨-٩.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٤٨/٥-٢٤٩؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٢٤-٢٥؛ شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ١١٧/٤.

(١٢)المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت٦٤٠هـ)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر (القاهرة، ١٩٩٤م)، ص٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ٣٤٤/٣ ؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٤٤.

(١٣)المقري، نفح الطيب، ٤٥٢/٤-٤٥٣؛ أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٣٦م)، ١٩٠/٢-١٩١.

(١٤) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٤ وما بعدها ؛أشباخ، يوسف، تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبدالله عنان، ط٣، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٩٩٦م)، ٣٠/١-٣١؛ بوزورت ،كليفورد ،الأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي(دراسة في التاريخ والانساب)،ترجمة: حسين علي العبودي ،مؤسسة الشراع العربي ،ط٢ ،(الكويت،١٩٩٥م)، ص٣٦ -٣٧؛ عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية،(القاهرة ،١٩٨٥م)، ص٢٧٢-٢٧٤.

(١٥) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام،ص١٥٩؛عبد الحليم، العلاقات، ص ٢٧٢.

(١٦) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، ١٩٣٩م)، ٤٩/١.

(١٧) أبن الكردبوس، عبد الملك التوزري (ق١١/٦م)، الإكتفاء في تاريخ الخلفاء (تاريخ الأندلس)، تحقيق: أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، ١٩٧١م)، ص٦٧.

(١٨) المراكشي، المعجب، ص٧٣.

(١٩) السلاوي، ابو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب (الدار البيضاء، ١٩٥٤م) ٣١/٢

(٢٠) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٦٩/٣-٢٧٠؛ السحيباني، محمد بن صالح، الضعف المعنوي وأثره في سقوط الامم (عصر ملوك الطوائف نموذجاً)، مكتبة الملك فهد الوطنية، (الرياض، ٢٠٠٢م)، ص٢٠٩.

(٢١) ابن بسام، ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت، ١٩٧٩م) ٣٨٦/١-٣٨٨.

(*) لبلة: مدينة أندلسية أزلية، تقع غرب مدينة قرطبة ،إلى الشرق من مدينة شلب، تتميز بكثرة أشجارها ووفرة ثمارها. مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٠٩؛ ابن الدلائي، أحمد بن عمر بن أنس(ت٤٧٨هـ)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق: عبد العزيز ألاهوائي، معهد الدراسات الإسلامية (مدريد، د.ت)، ص١١٠-١١١.

(٢٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٦/٣-٢٣٤؛ أشباخ، تاريخ الأندلس،٥٤/١-٥٥.

(٢٣)ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧-٨٨؛ابن بلقين، الأمير عبدالله بن زيري الصنهاجي، مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف (القاهرة، ١٩٥٥م) ، ص٧٧ ؛ أشباخ، تاريخ الأندلس، ٦٤/١.عنان، دولة الاسلام، ١٤٦/٢.

(٢٤) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٤٤.

(٢٥) أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٨٣م) ص١٣٢؛ عبد الرؤوف، هاشم، رسالة ووصية من القرن الخامس الهجري الى القرن الخامس عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٤م)، ص٢٣؛ فلنتينا، سليمان عفانة، مملكة أشبيلية زمن بني عباد وعلاقاتهم الداخلية والخارجية (٤١٤-٤٨٤هـ)، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، (نابلس، ٢٠٠٢م)، الملخص حرف H.

(٢٦) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص٢٤٤-٢٤٥؛ حتاملة، الأندلس، ص٩٢٤؛ عبد الحليم، العلاقات، ص٢٧٢.عنان، دولة الاسلام، ٦٣/٢-٦٤.

(٢٧) المقري، نفح الطيب، ٤٣٨/١-٤٣٩؛ السحيباني، الضعف المعنوي، ص١٧٦.

(٢٨) حومد، اسعد، محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات، ط٢، (بيروت، ١٩٨٨م)، ص٩٨؛ عنان، دولة الإسلام، ٤١/٢-٥٨.

(٢٩) ابو الفداء، إسماعيل بن محمد بن عمر (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٦٠م)، ١٥٥/٢؛ عبد الحليم، العلاقات، ص٢٩١-٢٩٢.

(٣٠) ابن عذاري، البيان، ٢٨١/٣-٢٨٢؛ عنان، دولة الإسلام، ٩٨/٢-٩٩.

(٣١) أشباخ، تاريخ الأندلس، ٤٩/١-٥٠؛ عنان، دولة الإسلام ، ٩٨/٢-١٠٢.

(٣٢) المقري، نفح الطيب، ٤٤١/١؛ عنان، دولة الإسلام ، ١٠٧/٢.

(*) سرية وقورية: وهما حصنان صغيران يقعان جنوب طليطلة، ضمن نواحي مدينة ماردة ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،٤١٢/٤؛ الحميري ،الروض المعطار ، ص٤٨٥.

(*) حصن قتالش: وهو أحد الحصون المهمة الواقعة بين طليطلة ووادي الحجارة على الحدود القشتالية. ينظر: أرسلان، الحلل السندسية، ٣٥/٢-٣٦.

(٣٣)ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٢-٨٦؛ ابن بسام، الذخيرة، ١٦٣/٤-١٦٥.

(٣٤)المراكشي، المعجب، ص٨٧؛ المطوي ، الحروب الصليبية .ص١٥٤؛ واط ،مونتجمري، فضل الاسلام على الحضارة الغربية ،ترجمة :حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي (القاهرة ،١٩٨٣م)ص٧٢.

(٣٥) بوزورت، الاسرات الحاكمة، ص٣٧.

(٣٦) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٨/٣؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٨٤؛ ابن بلقين، مذكرات، ص٧٧؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ٧٩/٣؛ السامرائي وأخرون، تاريخ العرب، ص٢٣١؛ العبودي، حركة الاسترداد، ص١٤٧-١٤٨.

(*) حصن غرماج: حصن أندلسي بناه الأمير محمد على مقربة من نهر دويرة، وهناك روايات أخرى تقول بأن الذي بناه هو غالب بن عبد الرحمن الناصري سنة٣٥٤هـ/٩٦٥م أيام الخليفة الحكم الثاني

(٣٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٣٨/٣؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص٥٧، ٨٣.

(*) مدينة سالم: وهي من الثغور الأندلسية المهمة، تقع على الطريق بين مدريد وسرقسطة، بينها وبين وادي الحجارة خمسون ميلاً، وهي التي دفن فيها المنصور بن أبي عامر. ينظر: ابن حيان ،المقتبس ،ص٥١٤-١٥١؛ أرسلان، الحلل السندسية ، ٥٩/٢.

(*) طلمنكة: وهي مدينة أندلسية من أعمال سرقسطة بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً. الحميري، الروض المعطار، ٣٩٣.

(*) وادي الحجارة: مدينة أندلسية تعرف بمدينة الفرج، تقع الى الشمال الشرقي من قرطبة، وهي مدينة محصنة كثيرة الأشجار والاسوار. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٦؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، ٤٨٢/١؛ أرسلان، الحلل السندسية، ٥١/٢.

(*) قلعة النهر: وهي في الغالب مدينة المائدة، تقع في أحواز طليطلة شمال شرق مدريد. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ص١٧٧؛ عنان، دولة الإسلام، ٣٨٣/٢-٣٨٤.

(٣٨) لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ١٧٧؛ عنان، دولة الإسلام، ٣٨٣-٣٨٤.

(٣٩)لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ١٨٣-١٨٤؛ عنان، دولة الإسلام ، ٣٨٣/٢.

(٤٠)ابن بسام ،الذخيرة ،١٤٢/٢-١٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ١٢٥/٣ .

(٤١)القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٥٣/٥؛ عبد الحليم، العلاقات، ٢٨٢-٢٨٣.

(٤٢)ابن بلقين، مذكرات، ص٦٩-٧٠.

(٤٣)ابن بسام، الذخيرة، ١٤٣/٤-١٤٤؛ طقوش، تاريخ المسلمين، ٤٥٨.

(٤٤)ابن بسام، الذخيرة، ١٥٦/٤-١٦٠؛ لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٧٩-١٨١.

(*) مجريط (مدريد) .وهي مدينة صغيرة ،وقلعة معمورة ،تقع بالقرب من طليطلة ، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن. الحميري ،الروض المعطار ،ص٥٢٣.

(٤٥)لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ص١٨١-١٨٢؛ السامرائي ،علاقات المرابطين ،ص٩٤؛ عنان، دولة الإسلام، ٣٩٥/٢.

(٤٦)ابن بسام، الذخيرة، ١٥٦/٢-١٦٣؛لسان الدين بن الخطيب، أعمال الاعلام، ١٧٩-١٨١

(٤٧)ابن عذاري، البيان المغرب، ٩٨/٣-٩٩.

(٤٨)ج .س. كولان، الأندلس، دار الكتاب المصري (القاهرة، ١٩٨٠م)، ص١٣٢؛ مصطفى شاكر، الاندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، ١٩٩٠م)، ص٨١.

(٤٩)عنان، دولة الإسلام، ٣٨٢/٢.

(٥٠)ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٩.

(٥١)ابن عبد البر، ابو عمر يوسف (ت٤٦٣هـ)، القصد في التعريف بأصول انساب العرب والعجم، ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم، مكتبة القدسي ، (القاهرة، ١٣٥٠هـ)، ص٣٥،يوتشيش،إبراهيم القادري ،الانحسار العربي في الأندلس في أواخر عصر الإمارة هل كان وراءه تفوق مسيحي؟ ،مجلة المؤرخ العربي ،العدد ٣٤،(بغداد ،١٩٨٧ م)ص١٧٧.

(٥٢) ابن بلقين، مذكرات ، ص٧٥-٧٦؛ السحيباني، الضعف المعنوي، ص١٣٤.

(٥٣) المقري ،نفح الطيب،٤٨٥/٤.

(٥٤) الأنترنيت.www Facebook com.